



أساس المشاهدة ، وتنبأ بالاستقبال قياساً على الماضي . وعرض ذلك كله على الناس في وضع -حلي واضح يفسر كل غامض ، ويجلو كل مهم . ويوضح نظرائه في فكرة شاملة تنظم كل مظاهر الحضارة ويختزلها في حيز محدود لا خفاء فيه ولا غموض

وقد ضم الأستاذ الهاك بك إلى المكتبة العربية بهذا العمل الجليل كتاباً يعتبر ثروة من أنفس وأغن تروات الفكر الإنساني لا توزن بذهب الأرض ، ولا تقوم بكنوز المالين

وكأنني بالترجم الفاضل ، وقد رأى أن فلسفة شبنجلر ليست بالشيء المهيمن الذي يتناوله القارئ في يسر وسهولة ، وأنها من العمق والأصالة بحيث تحتاج إلى مقدمة تقرب إلى الباحث مذهب شبنجلر ونظرياته الجريئة الجديدة ، فوضع لهذا الكتاب مقدمة ضافية تعتبر كتاباً بذاته ، سماها (النظرة المصرية) أتاح فيها للقارئ أن يلم بمذهب الرجل وأن يدركه إلى الحد الذي يسمح له بتذوق ما يقرأ وفهمه على الوجه الذي قصده شبنجلر

وقد ذكر في هذه المقدمة أن كثيراً من الماني السامية قد ابتذلت في هذه الأيام ، ومنها الفلسفة ، التي أصبحت إما تقرأ أجوف لشتى المذاهب وفي مختلف الثقافات قديمها وحديثها ، وهو نقل يقصى ما بينها وبين الإدراك السليم ، ويجعل منها عبارات غامضة لا يتذوقها إلا طائفة محدودة تستأثر بها وبذوا مضها ، وإما لمسوا ولها ينضم إلى سائر ضروب الشهوذة الأدبية التي ترى إلى صرف النشاط الثقافي عن جوهر الأمور .

وإن هذا الذي يقوله الأستاذ الهاك بك في مقدمته الرائعة ليدكرني بمحاضراته القيمة التي ألقاها عن شبنجلر قبل توزيع هذا الكتاب في قاعة المحاضرات بدار المركز الثقافي بالمنصورة وفيها بسط لنا معاني الفلسفة وقربها إلى أذهان المستمعين ، وعرضها عرضاً مغرباً جذاباً خالياً من التعميمات ، والمعيات ،

وقال عن شبنجلر إنه ليس من هؤلاء المفلسين الذين جعلوا من الفلسفة عبارات غامضة تستأثر بتذوقها طائفة محدودة ، وأنه ليس بالناقل ولا باللاهي ، وإنما هو مفكر أصيل جرىء حسن

كتاب الأعوام الحاسمة

المفلسوف الألماني أوزفالد شبنجلر

ترجمة الأستاذ علي بك حسن الهاك بك

المراتب العام لمنطقة التعليم بالقاهرة

هذا كتاب نقله الأستاذ علي بك حسن الهاك بك المراقب العام لمنطقة التعليم بالمنصورة عن الفنة الألمانية إلى اللغة العربية وهو آخر كتاب أنتجه الفيلسوف الألماني شبنجلر قبل وفاته ، وضمه سنة ١٩٣٣ وتوفي سنة ١٩٣٦ قبل اشتعال نار الحرب العالمية الماضية بثلاثة أعوام وتناول فيه قضايا العالم ومشكلاته وحضارته ، فدرسه على ضوء الفلسفة الواقعية وصور الحاضر على

شيثاً من ذلك ، بل هم على العكس يذكرون ما لقوا هناك من تقدير وتكريم .

كل ما في الأمر أن وزارة الخارجية المصرية تلوح بهذا الموضوع في محادثاتها التي تتعلق بالشئون السياسية مع العراق ... ووزارة المعارف ترى ذلك فتسكت ، على سبيل التضامن السياسي

والمأمول ألا يتمدى الأمر ذلك التلويح ، فلا يفتى للسياسة أن تتجاوز دأورها إلى الشئون الثقافية ، وخاصة أن ميثاق الجامعة العربية يكفل التعاون الثقافي بين البلاد العربية ، وتنص المادة الثانية من الماهدة الثقافية على أن « دول الجامعة توافق على تبادل المدرسين والأساتذة بين معاهدها العلمية بالشروط العامة والفردية التي يتفق عليها »

على أن ذلك التعاون الثقافي أقدم من جامعة الدول العربية ، وآثاره ظاهرة في العلاقات التعليمية والأدبية الموطدة .

عباس فخر

بدهيات هي في ذاتها قضايا ؛ وانكها قضايا مسلم -ها لا تتسع لأن تبني على قضايا أخرى . وهنا يتساءل : أليس كل التفكير إذن مرتسكراً على الاعتقاد ؟ وأليس كل ما نمارقنا عليه من نظريات وأسس علمية مهما تبلغ من الدقة مبنياً على مسلحات هي في ذاتها عقائد ؟ فإن كان الفكر في ذاته مبنياً على المسلمات والمقائد فمها الفارق إذن بين التفكير والاعتقاد ؟

أليس هو في الدرجة فحسب ؟ أي في أن الفكر المؤلف أمد عن العقيدة الأساسية التي تطالك مباشرة ، وبدون أدنى وسيط أو تامل ؟ وبهذا حول العلوم في أسسها إلى عقائد وقال إن ما يأخذ العلماء على الدين إنما هو مبهم مردود إلى راميته .

وهكذا هدم العلمية المألوفة وحصرها في حيز ضيق واهتدى إلى أن وراء الحوادث ما يملو على الأسباب السطحية إراءها منطق الحياة وزمن ، وراءها القضاء أو المصير بالمعنى الألمان .

القضاء الذي يمل على الفرد وعلى النوع وعلى الحياة ألوان النور والتطور مما لا يمت بأى وشيجه إلى السببية ، فهو يمتنق جبرية من لون جديدة تتصل بالجبرية الإسلامية وتمتلف عنها ، تتصل بها من حيث الحقيقة ، دخلوها من التدبير ، وتمتلف عنها من حيث ردها إلى مقدر بصورته الفلسفية الألمانية ذلك القدر الذي تلمب فيه الإرادة البشرية الفردية دورها . ومن المير على غير من تذوق الثقافة الألمانية أن يتصور كيف تتسق صورة القدر مع فكرة إرادية ذاتية خارجة عن الروح السكونية)

وما كان أمير على بك الهالك الكاتب المسلم الفيلسوف أن يلق على رأى شبنجلر مثل هذا التمليق ، وأن يوازن بين الجبرية الإسلامية والجبرية التي يمتنقها الفيلسوف الألماني ، وبين القوارق الدقيقة ووجوه الشبه بينهما يمثل التمهيل البديع الذي يعقب عليه بقوله : (ومها يكن لون هذه الجبرية التي أتى بها شبنجلر قائمها مع غيرها من أركان مذهبه كانت ممولا جباراً أصاب المادية الحديثة في أرسخ جذورها وأفسح الطريق لضرب جديد من الروحانية ينظر إلى الرحلة الحضارية الحالية في القرب نظرة فيها لنا نحن الشرقيين رضا ونأس وبسطا للامل في المستقبل : فهو روحاً أسيل قد نفذ ببصره الثاقب إلى ما وراء المادة واهتدى إلى أن الروح هي جوهر الأمور لا المظاهر المادية التي تلمب بالأحاسيس فتخدها وتصرفها عن الحقيقة (الكافية)

وأفكاره عصاره دمه قبل أن تكون وايدة فكره ، ولذلك يبرضاها عارية من كل ملطف ، ويقذفها في وجه العالم أجمع في صراحة مدهشة ، وشجاعة عجيبة قلبت كثيراً من أراضاع الفكر المقررة . ومن أسس الفنون وسائر الإتجاهات العلمية والأدبية انك من هيكل فكري أو حكم راسخ حنه القداسة ماث أو آلاف من السفين قد انهارت تحت معوله الفاسي ؛ وكفكك أنه حكم القضاء على المنطق المؤلف - منطق العلمية - فنزع سلطاناه وأخذ بمنطقه الخاص الذي أسماء منطق الحياة .

ولقد أحسن الأستاذ الهالك بك كل الإحسان حين كشف لنا في مقدمته عن شخصية شبنجلر ؛ وحدثنا عنه حديثاً مفصلاً أظهرنا على مذهبه وفلسفته ، واتجاهاته الفكرية ؛ فقرأنا كتابه ونحن نعلم تمام العلم أن الرجل قد جاوز حد الإعجاز فيما كتبه وفيما وجهه إلى الحضارة الأوروبية من اطبات ، وأنه كشف لنا عن خفايا وأسرار هذه الحضارة وعوامل نهضتها وانجلائها ودورائها المحتومة ، وأن تقديراته للمستقبل يلفت حد الروعة الفذه إذ أنه قدر الحرب الأخيرة قبل وقوعها وقدر نتائجها والساحة السياسية والحربية تقديراً عبقرياً . وإننا لنقرأ اليوم ما كتبه منذ سبعة عشر عاماً وكأننا نقرأ تصوراً للحاضر يستحيل على غير المعاصر أدائه .

وأنا أعتقد أن الأستاذ الهالك بك حين فكر في ترجمة شبنجلر عن الألمانية نفسها ، فإنما ترجمه وهو متأثر به ومهجب بأفكاره ومذهبه إلى حد بعيد بالرغم من أنه احتاط لنفسه وقال : إنه لا يسلم بكل ما آراه ، ولكن صراحته الألمانية الخشنة تفتح لنا فرجة إلى خفايا كلها فائدة وخير لنا .

ولذلك فقد أطال الكتابة عنه ، ولم يترك ناحية تتصل بهذا الفيلسوف عن قرب أو عن بعد إلا عرضها على القارىء عرضاً نموذجياً ناجحاً يحجب إليه إعتناق مذهب شبنجلر والتأثر به قبل قراءته

وهذا نوع عجيب من عبقرية القدرة على العناية للذئاب الفلسفية التي يميل إليها الكاتب القدير .

الآ ترى أنه يصور لك آراء شبنجلر تصوراً بديماً يملك عواطفك وهز جوارحك ويتغلغل في صميم نفسك حين يقول لك : (إنه يرى أن كل ألوان القياس والقضايا تستند في النهاية إلى

النقاب

للاستاذ عبد الحميد جوده السحار

عما لا ريب فيه أن الأستاذ عبد الحميد جوده السحار في طليعة أولئك الشباب الذين يجاهدون في ميدان الأدب القصصي ليخلقوا للقصة المصرية مكانة مرموقة . وقد تفاوت النجاح الذي أصابه في جهاده باختلاف أعماله القصصية الكثيرة . وإن كنت مقتنعاً أن روايته « في قافلة الزمان » تعتبر قمة نجاحه القصصي .

أما قصته الجديدة « النقاب » فلا أستطيع أن أصفها في مصاف الأعمال القصصية الرائعة ، ولكنها قصة ناجحة ما في ذلك شك . وقد عالج فيها موضوعاً يتغلغل في صميم النظام الاجتماعي السائد ، تناوله غيره من الكتاب بالبحث والدراسة ، ولكنه أبدع فيه بما أضفى على القصة من جو تسمى رائع .

وتدور القصة حول شباب في العشرين من عمره ينتمى إلى أسرة فقيرة ، وله ابنة عم ثرية ، تواضعت أسرتهما على اعتبارها خطيبة له منذ سفرهما . ولما كبر ظل كل منهما يحض الحب لصاحبه ، فكألا ح خيال « عليّة » في خاطر « حسين » أحس بقلبه يهفر نحوها وبمشاعره تنصرف إليها . وكما التقى « حسين » بـ « عليّة » فضحت عيناها ما تنطوى عليه جوانحها من وجد وهيام .

ودارت عجلة الأيام ، وأشرف حسين على التخرج من كليته - كلية البوليس الملكية - فأخذ ينتابه شعور غريب كما جمعه مجلس بعالية . شعور مزيج من الضمة والهوان ، والضييق والاشمئزاز . ولم يكن يفقه لهذا الشعور سبباً ، بل كان يرغب رغبة صادقة في التحرر من ريقته . فقد كانت العناية التي يلقاها في بيت عمه ، والمحبة التي ينمره بها أعضاء الأسرة من صغبرهم إلى كبيرهم ، حرية بافتراخ عواطف الحب من قلبه . ومبادلة الأسرة المطوقة

هذا هو شبنجلر كما يصوره لنا أستاذنا الجليل على بك الهاكح في مقدمته بمبارته الخلافة ، ومنطقه الصحيح وذوقه السليم

أما شبنجلر حين يصور نفسه في كتابه « الأعوام الحاسمة »

فلي فيه كلمة أخرى أرجو أن أوفن في كتابتها إن شاء الله .

على عبر الله

النصورة

ودأ بود ، ومقاسمة عليه مشاعرها الصادقة . ومع ذلك فقد ظل خيال عليّة يروده في أحلامه ويشير في قلبه المواطن المتقدة . وتفاقم نفوره من عليّة ، وتأنججت بين جوانحه ثورة على القدر المسطور له في كتاب الزواج ، فلماذا يتخذ من عليّة زوجة له تزولا على إرادة أبيه وعمه بينما أحت صورتها من قلبه ؟ ثم أتى نفسه بنجرف في حب فتاة التقى بها في بيت عمه ، وإذا بها تستحوذ على مشاعره ، ويحتل تفكيره وعلاً قوادمه . وأحس بشمور الفربق الذي عثر على حبل الإيقاد أخيراً ، أو إحساس التائه الذي اهتدى بمد لأى إلى السبيل . ورغم معارضة أبيه العنيفة فقد أسر على الزواج منها ، وفضل غاصمة أبيه على الاقتران بابنة عمه عليّة .

تزوج حسين من الفتاة التي اختارها بنفسه ، ورحل إلى الإسكندرية لاستلام مهام منصبه الجديد بمد تخرجه من كلية البوليس . وعاش فترة من الزمن تزيد على العامين وهو يحاول إقناع نفسه بأنه مستمتع بالسعادة الحقة إلى تجانب زوجته ، وقد نجح في محاولته إلى حد بعيد ، ولكن القناع سقط عن عاطفته الزليفة عندما أخبرته زوجته ذات يوم أن عليّة زارت المنزل في غيابها وسألت عنه ملححة في رؤيته . فجرى إلى شاطئ البحر يتفقد الموضع الذي اعتادت أن تتخذ منه كل سيف مستقراً ، وما وقعت عليها أنظاره حتى أحس بلمهيب العاطفة يضرم جسده ، وبجمرات الحب تتقد بين جوانبه ، ودب الوهن في عزيمته واجتاحته حيرة مضيئة بين التقدم إليها أو التوارى عن أنظارها ، ثم لم يلبث أن تراجع بخطوات متلعصبة حذراً من أن تكشفه عيناها ، رقق راجماً والخيبة والمرارة تقدهمان مشاعره .

مرت الأيام وعلاقة حسين بزوجه على خير ما يرآم صفاء ، إلى أن وجد نفسه في صباح يوم من الأيام أمام خطاب غفل من التوقيع بتحدث عن ماضى زوجته الحافل . ومنذ ذلك الصباح نبتت زهور الشك في قلبه ، ومنذ ذلك الصباح تقالت الخطابات المغلفة من التوقيع تكشف النقاب عن ماضى الزوجة وتسق زهور الشك بماء الفيرة حتى أبيضت وحان قطافها ، فكان الطلاق .

وأحس حسين حين انتهت علاقته بزوجه كأنه يستيقظ من حلم مرعب ، أو كأن كابوساً هائلاً يرتفع عن صورته وداعبه شوق ملح لرؤيته عليّة . وطفق يستعيد في ذهنه صورتها ، ويستعرض مشاهد حياتها الماضية فيجب كيف انصرف عنها إلى هدى ،

القصة - حسين - حائر بين مشاعر قلبه المهمة التي تدفقه بيد خفية إلى الانجذاب نحو ابنة عمه ، وبين مشاعر الأنفة والعزة التي توحى إليه أن عليه لا تصلح شريكة لحياته لأنها من أسرة تبتذله أسرته بالثروة والغنى ، وعمود أفندي - والد حسين - حائر بين الموافقة على زواج ولده من هدى لتحقيق سعادته ، وهو ما يهدد علاقته بأخيه بالدمار ، وبين عمله على الإقتران بابنة عمه ونحطيم عقوده ، وفي هذا صيانة للأواصير وبين أخيه . وهدى حائرة بين أن تفضي لزوجها بسر ماضيها أو أن تكتم عنه كل شيء . وتسلم الأمر بين يدي المقادير .

وهكذا تجرد كل شخصية من شخصيات القصة مسرحاً للصراع النفسي العنيف . ولكن الزمام لم يقات من فم المؤلف في تلك المواقف جميعها .

والاستاذ السحار لمسات إنسانية رائحة في هذه القصة ، ويحضرني بهذه المناسبة حديث جرى بين الصديق الأستاذ أنور المداوي وبينى في صدد الحديث عن هذا الكاتب وعن الأستاذ نجيب محفوظ . فقال المداوي ان نجيب محفوظ أعمق خبرة بالحياة من عبد الحميد السحار ، ولكن السحار أكثر إقبالا وتقاؤلا منه بالحياة . وقد وافقته على هذا القول ، وأظنه حقيقة بينة ، فما لا ريب فيه أن الأستاذ نجيب محفوظ أعمق كتاب الشباب خبرة بالحياة ، بل لا أظنني معالياً إن قلت إنه أعمق كتاب القصة العربية خبرة بالحياة . وهذه رواياته تثير دهشتك في عمق كتابها وقوة فلسفته وفهمه للحياة فهماً حقاً . أما الأستاذ السحار فإنه ولا شك من أكثر الكتاب المصريين تذوقاً للحياة المائلية ولأمل بالخطأ أننا أن نجد وجهاً للشبه في هذه الناحية بينه وبين الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني . وبوسمتنا أن نلاحظ تلك الملامح الإنسانية التي يتجلى فيها تذوق الأستاذ السحار للحياة . في قصة النقاب في مواقف كثيرة ، وأخصها تلك المواقف التي تجمع بين الوالد وولده والأم وإبنها والزوج وزوجته ، والقصة بعد مليئة بمثل هذه المواقف .

وإذا ففرت للاستاذ السحار أن يزجني في موقف إنساني ويلبس أرتار قلبي ، ثم يتزعمني منه على قسرة قبل أن أرتوى من الاستمتاع به - كما حدث في عدة مواقف من القصة - فلن

وكيف شاغل الإحساس بالنفور منها لحظة من الزمن وهي تمكن له كل هذا الحب . واستقل الرام في شوق ولهفة إلى « الزمالك » ونزل مسرعاً صوب منزل عمه ، ودفع باب الحديدية . ومشي بخطوات متلكئة نحو الباب الكبير ، وما أن ارتق آخر درجة من درجات السلم حتى خارت عزيمته ، وإذا به يولى ظهره شطر الباب ويطلق العنان لتقديمه هارباً من المنزل .

وهكذا تنتهي قصة « النقاب » وإن لم تحمل المقعدة الفخية التي ظل حسين يقامى متاعبها ويتخبط بسببها في مسارب الحياة ، وهي لن تحمل بالطبع إلا حين تنتهي قصة الصراع الطبقي التي نقاس جميعاً عقدها ومآسها ومشاكلها . فنحن نرى إذن أن حسين قد أخطأ الطريق إلى قلبه ، ومهما يقل عن وضوح هذا الطريق فلا يسمنا إلا أن نلتصم له المنذر في هذا الخطأ ، تلك هي قصة المجتمع ذي الفروق الطبقيّة الشاسعة ، كما عالجها الأستاذ السحار من زاويته الخاصة .

وقد كان أسلوب الأستاذ السحار المتميز بالسهولة والصفاء ، سلسلة الينبوع التدفق ، وصفاء البحيرة الساكنة ، واضحا متميزاً في هذا الكتاب . ولكنه لم يكن في الحوار على عهدنا به ، إذ كان حوار القصة على ما يلوح لي أضعف ما فيها . ويبدو أن أبطال قصته جميعاً مؤمنون بفضيلة « خير الكلام ما قل ودل » إذ كان حوارهم مقتضباً دائماً . وهذا مثال صادق لحوار القصة : (وقد في فراشه رقيبها وهي تتراين ثم قال : - بدأت أظن . - مم؟! من المرأة . - لم تفدك نصيحة أبي . - أفادتنى . لغت نظري إلى ما كنت في حاجة إلى سنين لأكتشفه وحدي . - جملتك تفار قبل الأوان . من هذا عيب النصائح ، توقف في نفوسنا ما كان ناعماً . - لن أنصحك أبداً . - إنصحيني أن أمارع بارتداء ثيابي ، فقد حان وقت خروجنا . - ان تخرج معاً . - ولماذا كل هذه الزينة إذا كنا لا نخرج الليلة ؟ . - ستخرج وحدي . - وأنت ؟ - عندي ميماد . - أين ؟ - هنا . - مع من ؟ - أناس يجب ألا تراهم . - قولي من ؟ - أسدقاء .) ويحيل إلى أن هذا الحوار - إلى جانب تكلف الاقتضاب فيه - في حاجة إلى قبس من الحرارة أيضاً لتدب فيه الحياة .

ولا بد للناقد أن يعجب بسيطرة الأستاذ السحار على الجو النفسي في القصة رغم أنه الصراع النفسي فيها هو كل شيء . فبطل